قراءة نقدية فى مقامات ابن ناقيا

د٠ / محمد أبو الفضل بدران

مقدمة :

لم ينل **ابن ناقيا** حظه من الشيوع والشهره وأنما أهمل اهمالا أود أن أكشف أسراره وأن أفيه بعض حقه ، وقد عشت مع **ابن ناقيا** فى مقاماته التى أطلعنى عليها أستاذى المستشرق **اشتيفان فيلد** Stefan Wild فى نسخه مخطوطة ثم قرأت النسخة التى طبعت فى مطبعة / **أحمد كامل سلطان** بايزيد باستنبول سنة ١٣٣٠ (١) الا أن طبعتها قد جاءت ناقصة ثلاث مقامات ناهيك عما فيها من أخطاء عديدة لا تحصى ، ولذا فقد قام البروفيسور Stefan Wild بمحاولة تحقيقها وترجمتها باللغة الالمانية ترجمة شعرية ٠

كما تناول المستشرق **هوارت** M.Cl. Huart المقامة الاولى (2) وترجمها بيد أنه وقع فى أخطاء مضحكة ، كان أحرى بمستشرق **كهوارت** ألا يقع فيها ٠

ثم ظهرت تلك المقامات محققة تحقيقا علميا على يد الدكتور/ **حسن عباس** (٣) وسنعرض لهذه النسخة فى بحثنا هذا ٠

وابن ناقيا هو **أبو القاسم عبد الله** ، وقيل **عبد الباقى بن مهر ابن الحسين بن داود ابن ناقيا** (٤) وقد ولد فى سنة ٤١٠ هـ = ١٠٢٠ م على مقربة من مدينة بغداد وثقف نفسه بالفلسفة ، وعلوم الدين والفلك وعلوم اللغة وغيرها من العلوم المصاحبة وترك لنا آثارا كثيرة ضاع معظمها ولم يتبق سوى :

- الجمان فى تشبيهات القرآن ، وقد نشر ثلاث مرات؛ المرة الأولى ببغداد ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م. وقد حققه الباحثان **أحمد مطلوب وخديجة الحديثى** ؛ والمرة الثانية بالكويت فى العام نفسه بتحقيق الباحثين **عدنان محمد زراور ومحمد رضوان الداية**، والمرة الثالثة فى الأسكندرية ١٩٧٨ م. بتحقيق الدكتور / **مصطفى الجوينى** .

- شرح الفصيح وقد حققه **عبد الوهاب محمد على العدوانى** فى ١٩٨٣ م بالقاهرة. - المقامات التى نحن بصدد الحديث عنها . .

وغير ذلك من المؤلفات التى ضاعت ولم تكتشف بعد ، وقد كتب **ابن ناقيا** الشعر وذكر **القفطى** أن له ديوان شعر كبير بيد أنه لم يصل إلينا من شعره سوى شذرات متناثرة فى متون الكتب تنبئ عن موهبة شعرية محدودة . .

وقد كثر الحديث حول تدينه الذى ربما كان سببا فى تجاهل أدبه وتراثه وقد انقسم النقاد حوله إلى فريقين ، فريق يحكم بفسقه ويدلل من النصوص التى تؤيد ما يرمى إليه ، وفريق آخر حاول أن يثبت إيمانه وصدقه وقد لقى هؤلاء عنتا فيما يطمحون إليه .

فقد أورد تلميذه **عبد الوهاب الأنماطى** ما يفيد إنكاره أن يكون فى السماء يعنى الجنة نهر من لبن أو نهر من خمر ونهر من عسل ، وقد وجد هؤلاء الفريق أنفسهم فى مأزق إزاء تلك النصوص التى أوردها فى كتابه **"الجمان "** والتى تتعارض مع ما أجمع عليه الفقهاء .

ومن ذلك قوله : فلما كانوا (أى العرب) يلجأون إلى ورود هذه المياه ويلقون العناء بشربها والكلفة فى تناولها ، وكان القرآن قد نزل بلسانهم وعلى ما عهد من شأنهم ذكر الله تعالى من العذاب الذى أعده للظالمين

ما يكون فى بعض أحوالهم مثال له، فيذكرون الكثير باليسير والغائب بالحاضر وكما خوفوا بشرب هذا الماء فكذلك شوقوا الى أنهار الجنة ومائها والى سلسبيلها وتسنيمها، ليروا أن ذلك أنقص بالقياس الى ما وصفوه فى أشعارهم بالصفاء والرقة(٥).

وعلى الرغم من ذلك يعلق الدكتور / **حسن عباس** قائلا : وكل هذه المواقف تظهر صحة اعتقاد الرجل وسلامة سريرته "(٦).

وعندما يجد هذا الفريق نفسه محاصرا يلجأ الى الخزعبلات والأساطير كتلك القصة التى حكيت فى بعض المصادر الأدبية أن **ابن ناقيا** حين مات وأريد تغسيله وجدت يده اليسرى مضمومة فاجتهد لفتحها وإذا فيها مكتوب:

نزلتُ بجارٍ لا يخيّب ضيفهُ ... أرجّى نجاتى من عذابِ جهنمِ
وإنّى على خوفٍ من اللهِ واثق ... بأنعامهِ واللهُ أكرمُ منعمِ (٧)

وأعتقد أن هذه الرواية ليست – ولو صحت دليلا على إيمانه أو كفره.(٨)

إلا أننى أتشبث بمقولة **القاضى الجرجانى** " الدين بمعزل عن الشعر" وأوسعها الى أن الدين بمعزل عن الإبداع، ولن يشق النقاد عن قلوب المبدعين حتى يصنفوهم الى مؤمنين وكفرة.

وما أحرى بالنقاد أن يتجهوا الى النص تحليلا وتقويما أما الاتجاه الى التدين أو نقيضه فهو حجه المفلس، وهروب من مواجهة النص.

وقد ذكر **ابن ناقيا** فى كتابه الجمان عددا من أساتذته **كمحمد بن على العشارى وسالم بن الحسن الكاتب وأبى الخطاب محمد بن على بن ابرهيم الجبلى** صاحب **أبى العلاء وعبد الله بن بكر الواعظ والأمير أبو محمد الحسن** ابن عيسى بن **المقتدر** وغيرهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الاستاذ الفاضل ابو الفتح عبد الرحيم محمد بن ناقيا بن داود وهذه حكايات
المستفاد العباده فيها وهدينا الفاظها ومعانيها وجاوبها وحلي البلاغة على
سامعها وراويها وقد سلك بعض المتقدمين هذا المذهب في مقاماته رياضة
للخاطر وتحريكا للقريحة غير قائل حقيقة ما للهري ولا زايد الا لبس لبوده على
مرعى ولما وسمها باسم مستعار على عاده المستعرا في تشبيب القاصد
والحكم ووضع الحكمة على السنة البهايم وليس ذلك بمحظور وانما هو صرف
العباره واحده من نعت الجد الى حلي البلاغه وقد قال بعضهم جد الادب
وهزله معا جد وكان ابن عباس رضي الله عنه اذا ذل الكثير من الجد قال الجد ولو يريد
الاخذ بطرف الحديث تمثل بالبيت اذا شمت الكلا وقد
ورد من امثال العرب ما يستحل في الحقيقة على ما استعمل له ولا يستعمل ذلك
كذبا وقالوا على لسان ولد الضب لخاطب اباه بهذه وهو ابلغ ازاد الاكاه
وزعموا انك لا تخدع الا اخا الاكاه وانا مشى الدار احوذ الاكاه
انشد ذلك محمد بن يزيد في كتاب الكامل وهو من نفيس الكتب به ويده اصحاب
الحديث ومن لم نبلغ فيما اوردناه في هذه المقامات الى هذا الحد وان
كنا قد مرحنا فيها اللعب بالجد ونعوذ بالله مما سمط من خطل القول
ونرغب اليه في نعمة الماوجز والعفو انه ولي الرغبة له ان شاء الله

تمت

المقامة الاولى

حدثني بعض البادية قال عرض لبعيري خاتره في طاد وحنه ضافية ناضر
موحشه الاثر وانا على جناح السفر والرحل ضايف والنهار
راسف وقد استعرت الرمضاء واوفى في عوده الحربا وعي
جمان استعرت كالشهاب الا ترى كانما خلعت عليه الشمس ثوبها
او الجمر جريالها فاعجبني طيب المكان فرلت عن الحمل وقرت غراره
ببعض الاغصان وجلست اتلام ضايري واراعل فحلبه النضاعان
ناطري فصافح سمعي تأمة وسطر يمينه وشامة واذا الفانص قد اجرش
صيدا مستحيلا وهو يفيد متمثلا ٥

بادر ضيفي ارتكاف اللوي حتى لا اطلاعه اليمني
ظل يرجي اشرا او سطا الا وفي يعيني فانص المسرمي ٥

ثم اقبل الي الما وجيا واكب على زباده فاوري وجعل يقوم ناره
ويرتجز اشعاره فقلت وشكان ما بزوتاه اجمل ذماه وقرت
صلاه فقال اخ رسته حرش الضراك فقضى عليه طول العشار فقلت
سفيه من القوم منيت به منذ اليوم وطلا ولا ما حتى اعلن قناد
فتزيده عما واراه في اريته فحينذ احرج حنيذه بنضج او دراكا
وبيناقت نضجا ولدراكا قوي منه ورده عن زباده وقد كنت
نفضت عن الزاد وعاني وخيم الوعكره واحشائي بيد الي

ومن خلال ما وصل إلينا من تراثه نستطيع أن نرجع تنوع ثقافته واستقاءه للعلوم والآداب .

وقد توفى **ابن ناقيا** فى سنة ٤٨٥ هـ ـ ١٠٩٢ م. ببغداد .

وفى تناولى للمقامات سأنتهج المنهج الوصفى التقويمى منطلقا من النص ونهاية بالنص ليس غير .

وقد كتبت نسخة المخطوط الذى بين يدى فى عام خمسمائة وست عشرة وقد صحح هذا التاريخ فى أصل المخطوط الى ٥٢٠ هـ وليس كما زعم الدكتور **حسن عباس** أنه كتب فى عام ٥٢٦ هـ (٩) .

وهذا المخطوط مودع فى مكتبة الفاتح باستنبول تحت رقم ٤٠٩٧ ومصور فى معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية تحت رقم ٧٨٨ وقد أصاب هذا المخطوط كثير من التلف وضاع منه ورقتان على الأقل هما تتمة المقامة الأولى وبداية المقامة الثامنة وبعض كلمات طمست معالمها فى ثنايا النص .

رؤية عامة :

نستطيع أن نؤكد أن عصر **ابن ناقيا** قد أسهم إسهامات كبيرة فى التحرر من قيود الإبداع التى صاحبت الإبداع أكثر من أربعة قرون ، كانت محاولات الخروج من هذا الأسر محاولات فردية متناثرة عبر الزمن ، إلا أنه فى عصر **ابن ناقيا** تلاقت تلك المحاولات فى نقاط إبداعية على نحو ما نرى عند **أبى العلاء المعرى** (٣٦٣ ـ ٤٤٩ هـ = ٩٧٣ ـ ١٠٥٧ م) فى لزوم ما لا يلزم وفى رسالتى الغفران والفصول والغايات ثم فى رسالة الصاهل والشاحج أيضا .

وعلى نحو ما جاء عند **ابن شهيد** (٩٩٢ ـ ١٠٣٤) فى رسالة التوابع والزوابع وغير ذلك من إرهاصات التغير الحقيقى فى بنية الإبداع العربى من

حيث التشكيل النصى الذى أوشك آنذاك أن يخطو خطوات رائدة ، إلا أنه سرعان ما اصطدم بمعوقات كثيرة فلم يؤت ثماره المرجوه .

من هذا المنطلق ننظر الى مقامات **ابن ناقيا** العشر التى تشكل نصا متكاملا نستطيع أن نضعها تحت عنوان " **يوميات اليشكرى** " واليشكرى هو الشخصية التى اخترعها **ابن ناقيا** والتى جعلها الشخصية الرئيسية الوحيدة فى مقاماته العشر التى بدأها بمقدمة خلت من التحميد والتسليم على عادة المقدمات فى ذلك العصر ، وأوضح فيها (أن هذه حكايات أحسنا العبارة فيها وهذبنا ألفاظها ومعانيها) . ويصر على توضيح انه قد "وسمتها باسم مستعار" ولهذه الجملة أهميتها حيث يؤكد أنه " قد ورد من أمثال العرب ما يستحيل فى الحقيقة على ما استعمل له ومن هذا المنطلق فإن هذه الشخصية شخصية وهمية اخترعها حتى يصب فيها ما يرتئيه **ابن ناقيا** ولكن على لسان اليشكرى .

والملاحظ فى المقامات بعد ذلك أنها تبدأ جميعها بلفظ "حدثنى " والمتحدث مجهول، ففى المقامة الأولى : بعض أهل البادية ، وفى المقامة الثانية " بعض الفتاك ، وفى الثالثة " بعض الشاميين ، وفى الرابعة " بعض الأصدقاء " ، وفى الخامسة " بعض الجواد ، وفى السادسة " بعض المتكلمين " ، وفى السابعة " بعض أهل الأدب " ، وفى الثامنة لا نجد بدايتها فقد ضاعت أما بقيتها فقد تنبئ بعض الشئ عن محتواها على نحو ما سأذكر فيما بعد ، وأما فى التاسعة فإنه يقول " حدثنى بعض الكتاب " وفى العاشرة " بعض المجان " .

وأهمية أن يكون الراوى مجهولا فى هذه المقامات أنها تتعرض للعصر

نقدى لاذع بكل ما فيه من أخطاء سياسية واجتماعية ود ابن ناقيـــا أن ينتقدها فاخترع تلك الشخصيات يحمّلها ما لديه من نقد يخفى فى داخلـــه نفســا ناقدة أبيـة إلا أن الخوف من التصريح أدخله فى باب التلميح ٠

إسـقاطات أدبيـــة :

من الجدير بالذكر أن أحدد هنـا مفهوم النص فالنـص هو محاولـــة التعبير عن نص غير موجود، إننا أمام نصين : نص مقترح ونص موجود والنـــص المقترح هو النص الأصلى الذى لا يوجد أبدا لذا فإننا نتعامل مـع النـــص الموجود ، وهذا بطبيعة الحال نص متغير لأن الصورة التى جاء عليها لـــم تكن إلا الصورة التقريبية للنص المقترح ٠

لذا فإننى أرفض مقولة Roland Barthes حول مفهوم النص : إنـه نسيج من المقتبسات ناشئ عن ألف مصدر ثقافى (١٠) .

إذ أن هذا المفهوم يحصر مفهوم النص المطلق داخل إطار محـــدود، وأرى أن النص ليست له حدود فاصلة ، إن النص قد يكون إشارة وليس كـلاما مسموعا أو منطوقا فقد تغنى الإشارة عن النص المقروء أو المسموع أو قد يتحـول الصمت أحيانا إلى نص، إذن تعريفات النص تعريفات تحولت إلى نصـــوص مصاحبة لتعريفات النص ذاتـه ٠

ولذا فانه من هذا المنطلق سأتعامل نقديا مع نص مقامات **ابن ناقيـــا** إن الواضح هنا فى كتاباته اننا لا نستطيع أن نفصل بين رؤيته النصية ومضامين النص ذاته، فالنص عنده، نص جدلى هذه الجدليـة لديه أقرب الى المنولوج الداخلـى ٠

إن اللغة لدى **ابن ناقيـا** لغـة طيعـة، قد تعينه على إدراك حاجته

وفى مقاماته نلمح الخيال المحدود ، وربما قصد أن يكون الخيال هنا محدودا لا ممدودا كعادة **المعرى** فى رسالة الغفران مثلا ، إذ رأى أن الخيال اللا محدود قد يسرق القارئ ويبعده عن مضمون مقاماته وأهدافها.

لكننا نفاجأ بأشعاره التى أوردها على لسان " **اليشكرى** "وهنا نحن أمام رؤيتين : تلك الأشعار ضعيفة لأنه أراد أن يكون **اليشكرى** شويعرا أو أن ذلك ينبىء عن موهبة **ابن ناقيا** الشعرية الضعيفة ، ولكن هذا الرأى يقويه ما أورده **ابن خلكان** من أشعار **لابن ناقيا** جاءت ضعيفة أو أقرب الى الركاكة منها الى الشعر الحسن .

لكن هذا الرأى يصطدم مع أحكام **ابن خلكان والقفطى وعمر رضا كحالة** وغيرهم (١١) الذين رأوا أن له يدا فى الشعر .

إلا أننى أرجح ضعف موهبته الشعرية ، ولكن هذا جعله يميل الى تعويض ذلك عن طريق حسن اختياره لأشعار القدامى التى تخدم النص وتقوى من الحجة ، كما أن **ابن ناقيا** حينما كتب مقاماته لم يختر بيتا واحدا من شعراء عصره ، ولعل هذا راجع الى النظرة المتوارثة التى يرى أصحابها أن للقدامى فضلا وميزة على المعاصرين وأن الفضل للمتقدم ولو أجاد المتأخر وهى رؤية خاطئة لأنها تبنى على تفضيل أسبقية الزمن على جودة العمل وكان أحرى بالنقاد أن يتعاملوا مع النصوص من رؤى حيادية لا تبنى على أساس زمنى .

كما أنه يجدر بالذكر أن **ابن ناقيا** متمكن عروضيا تمكنا واضحا من خلال تفسيراته للزحافات والعلل والقوافى مما أنبأ عن ثقافته العروضية ، وربما كانت هذه من ثقافة أدباء العصر آنذاك .

وهناك شيء آخر وهو حرصه على السجع والجناس وغيرهما من المحسنات البديعية ، ولكن السجع – في معظمه – غير متكلف ، كما أنبأت المقامات على قدرة **ابن ناقيا** في تعدد ظواهر أسلوبه ومستوياته الأسلوبية تبعا لطبيعة المتحدث فعندما يكون المتحدث (وهو شخص **اليشكرى** ذاته) نباشا يتكلم بلغة النباشين ، وحينما يكون شحاذا فالمقولات لأرباب الكدية ، وحينما يكون **اليشكرى** محتالا فإن ألفاظه تنبيء عن أحواله ، وعندما يكون **اليشكرى** لوطيا فهو أدرى بعلته وعندما يكون لغويا فهو جهبذ الكلام أو حينما نراه مفسرا فهو المفسر المحترف وعندما يتحول **اليشكرى** إلى دهرى ، فان **اليشكرى** – فيما أرى – يختفى ليظهر بجلاء شخص **ابن ناقيا** وفكره ورؤاه وهذا سأتناوله في الإسقاطات الدينية للمقامات .

وعندما يتحدث **اليشكرى** الشاعر الطروب فإن الفاظ الشعر ومصطلحاته ومصطلحات الغناء وألحانه تتجمع على لسان **اليشكرى** السكير الذى يمزق ثيابه لجمال الغناء وحلاوة الشعر وحسن المغنية .

أما عندما يصل **ابن ناقيا** الى المقامة العاشرة وتصل ذروة العمل الأدبى الى نقطة خطط لها **ابن ناقيا** بدهاء ، يتحول **ابن ناقيا** الممسوخ في شخصية **اليشكرى** الى نبى ورسول ويحاج كل من يكذبه ولم يصدقه ، وما على الناس إلا أن تدخل في دينه أفواجا .

إذن فأسلوبه متغير تبعا لثقافة **اليشكرى** ودوره الوظيفى في المقامة وهذا التغير وضح لنا مدى ثقافة **ابن ناقيا** المتنوعة أيضا ، ومدى إلمامه بمختلف العلوم والفنون .

كما أن روح الفكاهة والتهكم تغطى مقاماته ، ولعل هذا راجع الى

حرص **ابن ناقيا** على عدم ملل المتلقى ، وحتى يسير معه حتى نهاية المقامة.

إن المقامة هنا تتحول الى قصة قصيرة فى إطار نص متكامل أقرب الى " **يوميات اليشكرى** " كما ذكرت آنفا .

إن مقومات القصة القصيرة هنا تكاد تكون متكاملة **فابن ناقيا** يبدأ غالبا بوصف المكان والزمان والحالة النفسية ثم يعرج الى رؤية مخالفة للحدث من هذه الرؤية تتغير المقامة الى تشكيل قصصى يرتكز على المفاجأة التى سرعان ما تولد مفاجآت أخرى متلاحقة ، فى هذا الإطار القصصى يأتى **ابن ناقيا** من وراء تلك الأقنعة التى اخترعها ليصب من خلالها أفكاره ورؤاه يطل علينا من خلال **اليشكرى** الذى لا يكتشف إلا فى نهاية القصة القصيرة (المقامة) بعد أن تكون الأحداث قد وصلت الى ذروة العقدة ويبدأ فى حل تلك العقدة كاشفا عن تلك الشخصيه الرئيسية التى تتلون تبعا للمقام ، ولكن **ابن ناقيا** كان قادرا على أن يغير مسمى الشخصية الرئيسية لكل مقامة على حدة لكنه لم يلجأ الى ذلك حتى يكون الرابط النصى من خلال الشخصية الرئيسية " **اليشكرى** " قويا ، قادرا على لم شمل النص فى إطار واحد أستطيع أن أوضحه كما يلى : ـ

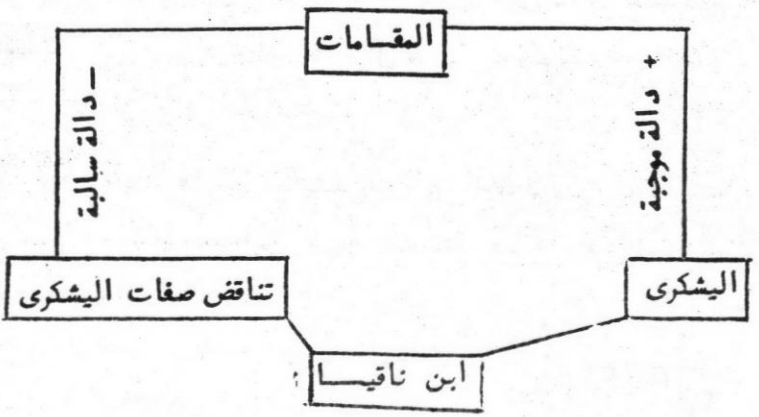

من هنا فإننى أرى أن **ابن ناقيا** كتب مذكراته الشخصية تجاه العصر تجاه أدبائه وفلاسفته ومشايخه ونقاده ، ولكن **ابن ناقيا** قد ارتدى قناع **اليشكرى** ، وأصر منذ البداية على أن يوهم المتلقى أن هذه الحكايات هى حكايات لرياضة الخاطر ، وانها راحة من تعب الجد الى ملح البلاغة ، ثم يلقى ضوءا أخيرا بقوله " وان كنا قد مزجنا فيها اللعب بالجد " .

هنا يتضح لنا الى أى مدى خدعنا **ابن ناقيا** وهو يوهمنا أن هذه حكايات لنكتشف فى النهاية انها رؤاة المتصارعة تجاه الطبيعة وتجاه الأديان والرسالات ومن هنا ندرك لماذا أجهل المتحدث لأن المتحدث لم يكن سوى **ابن ناقيا** نفسه وخدعنا أيضا وهو يدير الأحداث جميعها فى بغداد والشوق الى دمشق ، ولعلها إسقاطات سياسية كما سنتحدث عنها بعد ذلك .

ثم ان **ابن ناقيا** أتبع كل مقامة بتفسير يفسر فيه ما استعجم من ألفاظ المقامة ولا يخلو التفسير من شواهد شعرية يوضح بها معنى الكلمة .

كما يتحدث **ابن ناقيا** عن ظاهرة التكسب بالأدب واللغة وكيف هى مزرية بصاحبها وأنها وصمة سيئة بالأدب واللغة ولا يخفى علينا ولوعه بالسجع فى كل المقامات .

وقد لاحظ البروفيسور **فيلد** سخرية **ابن ناقيا** الموجهة " ضد الشعراء والكتاب والمتطفلين والبدويين ، كذلك تتحرك المقامات شكليا بسرعة القصص القصيرة الدرامية ، ومكتوبة فى أسلوب متلألئ وبلاغى بديع وليس مترهلا ، وهذا الأسلوب فيه تطور كبير من حيث التورية " (١٣) . ثم يمضى قائلا :

إن " **يشكرى ابن ناقيا** يتحدى القارئ وفى نفس اللحظة يسلى القارئ "(١٤)

إسقاطات دينية واجتماعية وسياسية :

يكاد يجمع مؤرخو الأدب والنقد وعلماء الدين على ان **ابن ناقيا** متهم فى دينه وبهذا نص **ابن خلكان** " وكان ينسب الى التعطيل ، ومذهب الأوائل ، وصنف فى ذلك مقامة " كما ذكر **القفطى** فى إنباه الرواه إن **ابن ناقيا** " ينسب الى التعطيل وذهاب مذهب الأوائل وصنف فى ذلك مقامة وكان كثير المجون "(١٥) .

ومن هذين الرأيين ندرك أنه قد خدعنا عند ما ألف " الجمان فى تشبيهات القرآن " وكأنه أراد أن يدارى عن مجونه وخلاعته بهذا المؤلف الذى اتخذه سترا ولا نعجب إذا ذكر رضا كحالة انه " اتهم بالزندقة "(١٦) .

أو عندما يقول عنه **الزركلى** " كان كثير المجون ينسب الى مذهب المعطلة ، ويتهم بالطعن على الشريعة (١٧) . والتعطيل مذهب ينكر أصحابه صفات البارى تعالى .

إذن قضيتنا هنا هى آثار تلك البيئات الدينية على الإبداع ولماذا لجأ **ابن ناقيا** الى هذا الاسلوب ولماذا لم يجهر برؤاه دونما مواربة ، إن ما أميل إليه هو أن **ابن ناقيا** أراد أن يشرّح هذا المجتمع الذى يعيش فيه مزدوج الشخصية ، الناس فيه يعملون ليلا عكس ما يظهرون نهاراه أراد من خلال **اليشكرى** التقى ، النباش ، الكذاب ، المحتال ، المبطون المتفصح ، المفسر ، الشويعر ، المفتى ، اللوطى ، السكير ، الجدلى الشكاك ، الطروب ، النبى الرسول أراد أن يرسم صورة للعصر الذى يحياه .

هذه الصفات المتناقضة والمجتمعة فى آن واحد هى صفات المجتمع الذى بدوره يعكس تلك الصفات على الحكام والمحكومين ، ولا أدل على تلك الإشارة اللماحه التى أراد ابن ناقيا ان تكون واضحة فقد اختار مسرح أحداث مقامة اللواط فى قصر الوليد " واذا بشخص فى فنائه " هنا نحن أمام رمز من رموز الحكم أو على أقل تقدير أمام رمز الطبقة المرفهة أو العالية ، كما أننا لا ننسى استخدام ابن ناقيا لمصطلح " تفسير " بعد كل مقامة ، وارتباط هذا المصطلح ضمنا بمصطلح " تفسير القرآن " وإن كان أبو العلاء المعرى قد استخدم هذا المصطلح من قبل فى الفصول والغايات (١٨) .

هذا المصطلح قد يكون المعرى وابن ناقيا قد قصدا إستخدامه قصدا ، وإلا لماذا لم يستخدما مثلا كلمة " شرح " .

ومن الظواهر الاجتماعية التى ظهرت فى المجتمع آنذاك الطبقية المتفاوتة فهنالك جماعة يمثلون طبقة معينة من طبقات المجتمع يسألون الناس إلحافا بينما فى المقابل هناك طبقة الأغنياء المرفهين الذين يستمعون إلى الغناء ويأكلون اللحوم على أنخاب الخمر .

هناك ظاهرة قد تكون جديدة على المجتمع وهى ظاهرة النباش الذى ينبش القبور حتى يسلب أكفانها ، ولعل هذه اللفتة توحى لنا بمدى تفاوت تلك الطبقات غنى وفقرا ، كذلك حين يحدث ابن ناقيا ذلك النباش مستنكرا فعلته يفاجئنا اليشكرى (النباش) فى جرأة كبيرة بقوله :

" سيان من عرض مستقفيا أو خرج مختفيا " وهنا إشارة كبيرة الى تعسف

العسس في ذلك الوقت وظلمهم ، وأنهم يضربون ويسلبون مثل النباشين لا فرق .

وهناك ظاهرة أخرى تعرض لها **ابن ناقيا** وأعنى بها ظاهرة اللواط واختار أن يكون أحد أطرافها شخصا أسود ، وربما كان هذا التفاتة اجتماعية لدخول بعض الأجناس في دائرة الخلافة العباسية آنذاك وما ترتب على ذلك من آثار اجتماعية .

وعندما نأتي الى المقامة العاشرة ونرى **اليشكرى** قد تحول الى رسول يدّعى النبوة ويهمهم في أسى : " لست بأول نبى خذ له يومه ، وضيعه قومه " نلمح **ابن ناقيا** قد مهد لأدوار **اليشكرى** من قبل حتى يصل الى تلك الذروة فيجعل منه نبيا ورسولا ذا معجزات ولذلك ختم **ابن ناقيا** تلك المقامة العاشرة بقوله : " فكان آخر العهد به ، وهزله ولعبه " .

ولكن واحدا من الفقهاء المتأخرين أو المعاصرين يدعى **مصطفى الحلبى** وربما لم يكن فقهيا كتب بجانب تلك المقامة " فلا وجه لأن يذكر مثل هذه المقامة في الكتب مع أنه لم يذكر فيها شيئا يعتد به في اللغة والأدب سوى قلة الأدب ، نعوذ بالله من شر الشيطان " وهكذا جاءت فتوى صريحة ترى تحريم رواية تلك المقامة ومن عجب أن الناشر التركى أسقط هذه المقامة وربما كان ذلك بفعل تلك الفتوى .

إننا — ورغم هذه الفتوى — أمام نص قد يكون أقدم نص لبدايات القصة القصيرة وأكثر جودة واتساقا من المقامات الاخرى لمؤلفين مشهورين .

أخطـاء فى النسـخة الحديثة المحققـة :

لم يدر بذهنى أن أتتبع أخطاء السابقين إلا أن الامانه العلمية تتطلب منى ذكر ذلك والحقيقة أن الدكتور / **حسن عباس** قد بذل جهدا طيبـا فى تحقيق هذا النص إلا انه قد جانبه الصواب فى مواضع كثيرة وليس كمـا قـال البروفيسور Wild "باستثناء بضعة قراءات أختلف فيها مع نص **حسن عبـاس** فإن اختلافى الوحيد مع المحقق انه يحاول بشدة ـ أكثر مما ينبغى ـ فـى مقدمته الطويلة والمليئه بالافكار أن يدافع عن **ابن ناقيـا** ضد مهاجميـه وانه لم يكن دائما واعيا لما تهدف إليه مواقف سخرية **ابن ناقيـا** ... إنـه تحقيـق جيد لنص مثير وجذاب " (١٩) . فان ما وقع نظرى عليه من أخطـاء كثيرة منها على سـبيل المثال لا الحصر : ـ

فى المقامة الأولى يأخذ على Huart تحقيق جملة " فأضرب عـن المراجعة ، ورى عن المدافعة " ويقول فى الهامش " قرأهـا Huart ورى (تصحيف) وزى الشى يزى اجتمع وتقبض ، وأرى أنها ورى من التورية ، لعلها أقرب الى سـياق المعنى .

ثم فى المقامة نفسها : " فرأيت بعض شكه يقوم ببعض افكه " **ولا أدرى لماذا جعلها حسن عباس** " فرأيت بعد ... " على الرغم من وضوحها فى المخطوط وضوحا تامـا .

وفى المقامه الثالثة " فانتهت الى مدينة السلام ، والنفقة صحبة الغلام " ولا أدرى لذلك معنى ، وربما كانت " فانتهت الى مدينة السلام والفقـه صحبة الغلام " ولا داعى للسجعة هنا حتى يستقيم المعنى ، وقد كسـر **ابن ناقيـا** السجع أحيانا كثيرة .

وفى المقامة الرابعة قرأ حسن عباس " هاتيك كأعواد البروق " هـــاءك كأعواد البروق " ولا وجه له .

وأضاف الباء الى جملة " فأضحكنى بقوله " والمثبت " فأضحكنى قولـه " ولا غرابة فيه .

وقد حاول فى بداية المقامة الخامسة أن يقرأ قراءة جديدة كلفته شططا فلم يعجبه أن يقرأ " حدثنى بعض الجوار " كما قرأها Huart ولكنه قرأهـا " حدثنى بعض(أهل) الجار " واضاف "أهل من عنده وراح يفسر الجـار فقال : الجار عدة مواضع، والمقصود هنا مدينة على البحر الاحمر قـرب المدينة المنورة، وصفها عرام بن الاصبع ، فقال : " والجار على شـاطىء البحر ترفأ اليه السفن من أرض الحبشة ومصر، ومن البحرين والصين، وبها منبر وهى قرية كبيرة آهلة شرب أهلها من البحيرة، وبالجار قصـور كثـيرة ونصف الجار فى جزيرة من البحر ونصفها على الساحل، وبحذاء الجـار جزيرة فى البحر تكون ميلا فى ميل لا يعبر إليها إلا فى سفن وهى مرفا الحبشة خاصة، يقال لها قراف وسكانها تجار كنحو أهل الجار ... الخ ".

ولا أدرى لذلك سببا فلماذا أراد ان يقرأ الجوار .. الجار؟ ولماذا راح بنا الى البحر والموانى ... ان ابن ناقيـا فى هذه المقامة بالـذات ينتقد بغداد ولذلك يأتى فى متن تلك المقامة ذكر قصر ابن الوليد كرمـز للسلطة الحاكمة فهل هناك قصر يدعى بقصر ابن الوليد فى مدينة الجـار التى ذكرها عباس؟ وهل فيها شعب بنى سـوار؟

ثم ان سياق ابن ناقيـا فى بداية مقاماته يسير على نسق حدثنى بعض المتكلمين، بعض الفتاك، بعض أهل الادب، بعض الكتاب أو بعض الشاميين

فلماذا لا يعجبه ان يقول حدثنى بعض الجوار أو على أقصى تقدير بعض الجواد .

والجواد كما يذكر **ابن منظور** جمع جواد " والجمع جياد وكان قياسه يقال جواد " (٢٠) وهذا يتناسب مع شعب بنى سواد وقد ذكر السواد فى لسان العرب كموضع (٢١) ما يجاوز أربعين مرة بل عرف **ياقوت** قوية نقيا إنها قرية من نواحى الانبار بالسواد من بغداد (٢٢) . وقرأ فى المقامه السادسة " دخلت بعض البساتين ، وذلك عند قائم النهار وانا خارج الديار (٢٣) . ورجعت الى أصل المخطوطة وجدت أنها " وذلك عند ما حم النهار ، وأنا خارج الدينار " وحم أى أشتد ، وأما الدينار فقد أورد ها **ياقوت الرومى** فى معجم البلدان " دار دينار محلة معروفة ببغداد واليوم يسمونها درب دينار "(٢٤) .

ولا أدرى لماذا أراد أن يحرف النص عن أصله ؟ وما الداعى لذلك اذا كان ذلك واضحا ولا يتعرض مع ! لسياق ، بل إن أمانه المحقق تستدعى منه أن يثبت النص ولو خالف السياق ويؤول ما يشاء فى الهامش بعيدا عن متن النص المحقق .

وعند ما نأتى الى المقامه العاشرة نجد انه قد حرف جملة كاملة فأفسد المعنى إذ أن الحوار فى هذه المقامه المتنبئة يدور كالآتى : إذ قالوا له : أخا يشكر أظهر لنا شيئا من معجزاتك وبراهينك .

فقال: إنى أخبركم بما فى نفوسكم ، فاعمدوا الى كئوسكم .

فقلنا: أترى يصير هزله جدا ، وباطله حقا .

(ثم أخر كل منا كامنه) .... الخ .

والحقيقة انى لم أفهم مغزى هذه الجملة الأخيرة فى تحقيق الدكتور **حسن عباس** فاضطررت الى قراءة المخطوط لأتبين أن المعنى خلاف ذلك تماما إذ قال **ابن ناقيا** " ثم أخذ كل منا كأسه " وشتان بين الجملتين ؟

وعلى الرغم من ذلك فإن نص **حسن عباس** كما قال البروفيسور Wild "يعرض المقامات فى نصها الكامل نقلا من المخطوطة (فاتح) وهذا بذاته تحسن كبير على نص Rescher ، وقد حسّن **حسن عباس** تفسير Rescher وفى أغلب الأحايين أعطى **حسن عباس** تحقيقا دقيقا ومتزنا وفهرسا منظما ومقدمة طويلة وللمرة الأولى أصبح عندنا نص كامل وصحيح "(٢٥) .

ولكن هذه الملاحظات لا تنكر جهور الدكتور / **حسن عباس** فى تحقيق نص جدير بالتحقيق والرؤية ولا تبخس جهده وتعبه فى قراءة ما غمض من المخطوط وإسناد الشعر الى أصحابه وهو جهد أقدره له غاية التقدير ولا أنفى استفادتى منه فى أحايين كثيرة ..

هـــوامـــش :

١ ــ **الحنفى وابن ناقيـــا** : مقامات الحنفى وابن ناقيا وغيرهما، ط. مطبعة أحمد كامل سلطان بايزيد ده جادر جيلر قبوسى استنابول، ١٣٢٠ هـ .

2- **Huart. M.Cl.**: LES SEANCES DIBN-NAQIYA in(Journal Asiatique-Ser 10 + - X II .

٣ ــ **حسن عباس**(دكتور) : مقامات ابن ناقيا، تحقيق ودراســة، ط. الدار الاندلسية ١٩٨٨ م.

٤ ــ ذكر **C.Brockelmann** ان اسمه " ابن ناقيا " نسبة الى مدينة ناقيـــا " .

C.Brockelmann: Geschichte der Arabischen Literatur, Erster Supplementband, Leidn,E.J.Brill,1937.S. 486.

٥ ــ **ابن ناقيا** (البغدادى) : الجمان فى تشبيهات القرآن ص١٠٨ . تحقيق د/ مصطفى الصاوى الجوينى، ط. منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٨ م.

٦ ــ **ابن ناقيـــا** مقامات ابن ناقيـــا ص ١٣ .

٧ ــ **تكررت تلك الرواية عند** : القفطى : (الوزير جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف القفطى ٥٦٨ ــ ٦٤٦ هـ) .

؛ انباه الرواية على أنباه النحاة، جـ١ ، ص١٥٧
تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهـرة،
١٣٦٩ هـ = ١٩٥٠ م .
؛ابن خلكان : (أبو العباس الدين أحمـــد
بن محمد بن أبى بكر ابن خلكان ٦٠٨ ــ ٦٨١ هـ)
،وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان جـ٣، ص٩٩
تحقيق د/ احسان عباس، بيروت، ١٣٩٧ هـ
١٩٧٧ م.؛ وغيرها من المصادر : السـيوطى
جلال الدين عبد الرحمن السيوطى (ت٩١١)
بغية الوعاة طبقات اللغويين والنحاة جـ٢ ، ص٦٧ .
؛ابن كثير : عماد الدين ابو الفدا اسماعيـل
ت ٧٧٤ هـ: البداية والنهاية جـ١٢، ص
١٥١ وغيرهم .

٨ ــ **القاضى الجرجانى** : (القاضى على بن عبد العزيز ٢٩٠ ــ ٣٦٦ هـ)
الوساطة بين المتنبى وخصومه . ص٦٤ تحقيق
محمد أبو الفضل ابراهيم وعلى محمد البجـاوى
ط.الحلبى ، القاهرة ١٩٧٨ م .

٩ ــ **ابن ناقيـا** : مقامات ابن ناقيا ص٢٠ وربما نقلها عن الدكتور الجوينى
فى مقدمة تحقيق لكتاب الجمان، ص٢٦ .

10- **Roland Barthes:** The Ruste of language, Transl:Richard Howard,Oxfor, 1986.PP:52-53.

١١ ــ **ابن خلكان :** وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان جـ٣ ص٩٨ ..

١٢ ــ **السابق :** جـ٣ ص٩٩ .

13- **Stefan Wild:** Journal of Arabic Literature, XXIII,3

14- **Ibid.**

١٥ ــ **القفطي :** إنباء الرواة على أنباء النحاة جـ١ ، ص١٥٧ .

١٦ ــ **عمر رضا كحالة :** معجم المؤلفين جـ٥ ص٧٥ ، ط. دمشق١٣٧٧ هـ. = ١٩٥٨ م.

١٧ ــ **خير الدين الزركلي :** الأعلام جـ٤ ، ص٢٦٧ ط . كوستا توماس، الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ= ١٩٥٦ م..

١٨ ــ **المعري :** (أبو العلاء ٣٦٣ ــ ٤٤٩ هـ) الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ تحقيق محمود حسن زناتي ، ط. القاهرة ١٩٧٧ م.

19- **Stefan Wild:** Journal of Arabic Literature XXIII.

٢٠ ــ **حسن عباس** (دكتور) : مقدمة تحقيق مقامات ابن ناقيا ص٨٩ ، ثم اضطر للبحث في معجم البلدان ومعجم ما استعجم، وفيات الاعيان .... الخ .

٢١ ــ **ابن منظور :** لسان العرب: مادة جود .

٢٢ ـ **ياقوت الحموى :** (شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى) معجم البلدان جـ٤ ، ص٨٠٧ ط٠ ظهران ١٩٦٥ م٠

٢٣ ـ **ابن ناقيا** مقامات ابن ناقيا ص ٩٣ ٠

٢٤ ـ **ياقوت الحموى :** معجم البلدان جـ٤ ص٤٤١ ٠

25- **Stefan Wild:** Journal of Arabic Literature XXIII